Archive of SID

وقفة مع الأديب المسرحى سليمان الحزامى؛ ومسرحيته بداية النهاية

إنک تستطيع أن تسرق شجرة، ولكنک
لـن تـستطيع أن تـسرق أرض البستان.
(بداية النهاية)

سيد إبراهيم آرمن*
زهرة بندبى**

الملخص

إن المسرح بوصفه أبرز النشاطات الثقافية، إذا كان من شأنه أن يشكل عامل توحد إنسانى، لفتح آفاق الحوار بين مختلف الأجناس، والأعراق، والألوان على اختلاف معتقداتهم، فإنه من شأنه التطلع إلى خدمة الأوطان، والدعوة إلى تحررها، والوقوف أمام الظالم المعتدى؛ وهذه النزعة الوطنية، لاتوجد إلا بين أبناء الوطن الغيورين، الذين استخدموا الكلمة ذودا عن ديارهم، وأبناء أوطانهم.

يحاول هذا المقال أن يلقى الضوء على أحد روافد هذه النزعة الخالدة، ليعرّف بأمنياته وتطلعاته؛ وهو الأديب الكويتى سليمان الحزامى، الذى يعتبر أحد الكتاب المسرحيين البارزين لا فى الكويت فحسب، بل على المستوى العربى والعالمى، إذ ترجم بعض نتاجاته إلى اللغات الإنكليزية، والإسبانية، والفارسية. واستمد الحزامى فى مسرحيته بداية النهاية، بالتاريخ باعتباره حاكما لايخطئ، ليدلّ على انهدام الدكتاتور، وانتصار الشعوب.

الكلماتالدليلية: المسرح، الشخصيات، المضمون، الحرية، الظلم، الحكم الفردى.

*. عضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية فى كرج.
**. خريجة جامعة آزاد الإسلامية فى كرج.

تاريخ الوصول: ١٣٨٨/٨/١٢هـ. ش تاريخ القبول: ١٣٨٨/١١/٢١هـ. ش

www.SID.ir

Archive of SID

المقدمة

ولد الأستاذ سليمان داود الحزامی عام ١٩٤٥م فی الكويت، ونشأ فی بيت فيه الكتاب. بدأ يحب القراءة منذ الصغر، أخذ حب القراءة من والده الذی توفی عام ٢٠٠٧م، وتعلم منه قراءة روايات الهلال، وكتب فی الأدب العربی، ودواوين الشعر، وألف ليلة وليلة.يقول الحزامی فی مقابلة مع برنامج (همسة القلم):

«فتحت عينی فی بيت مثقف، والدی كان قارئاً ممتازاً تعلم فی الكتاتيب، تعليما ذاتيا، لكنی وجدت دواوين شعر، وروايات الهلال؛ فبدأت القراءة مبكراً، ولم يبخل والدی فی جلب الكتب، والمجلات، مثل: سمير، والسندباد، والمصور، وآخر ساعة، حتی إننی أتذكر والدتی عندما صدرت مجلة العربی عام ١٩٥٨م، وقتها كنا نقطن فی منطقة حولی، فكانت رحمها الله تذهب إلی الكويت كل شهر خصيصاً لتشتری لی مجلة العربی، لذلک استطعت تكوين أول مكتبة لی فی البيت، وأنا فی سن صغيرة، هذا بالإضافة إلی أننی كنت ألقی خطبة الصباح بالإذاعة المدرسية، وهذا كان يتطلب منی القراءة المستمرة.» (بندبی، ٢٠١٠م: ۶۴)

درس الحزامی فی مدرسة المرقاب، وبعد ذلک انتقل إلی منطقة حَوَلِّی، حيث درس الابتدائية، والمتوسطة هناک.وبعد أن أنهی المرحلة المتوسطة سافر عام ١٩٦٣م إلی لندن، و كان هناک دورة فی اللغة الإنجليزية، وقد تكرر سفره عدة مرات، لإنجلترا لتعلم الإنجليزية.كما التحق بمعهد المعلمين، وتخرج عام ١٩٦٧م، كمدرس موسيقی بتقدير جيد جداً.واحترف التدريس، وفی عام ١٩٦٩م أخذ شهادة مركز الدراسات المسرحية. وأخيرا سافر إلی بريطانيا لدراسة الأدب، وعاد فی الشهر الثامن لعام ١٩٧٥م وأخذ شهادة الليسانس فی الأدب الإنكليزی قسم الدراما، وكانت دراسته تدور حول الأدب المسرحی الإنكليزی، كما أخذ ميدالية برونزية للخطابة، تتبع للكلية الملكية، وكان العربی الوحيد الذی يأخذ ميدالية فی فن الخطابة، والإلقاء، والذی اختبره كان من كبار المسرحيين فی العالم.وكان دوره، أو الخطبة التی ألقاها، مشهد راعی الإصطبل فی مسرحية مكبث، وأخذ شهادة تقديرية، لكنه لم يستفد منها فی التمثيل.وبعد تخرجه بدأ

www.SID.ir

Archive of SID

قراءات فلسفية لديكارت، وسارتر، وغيرهما، واتجه بعدها للفلسفة الإسلامية، وإحياء علوم الدين للإمام الغزالى، وتهافت التهافت لابن رشد، مما أدى إلى نضوج عقله. (المصدر نفسه: ٥٨)

وبعد أن أصدر وزارة التربية نشرة، لحاجتها إلى مدرسين لغة إنكليزية، ولحبه بالإنجليزية، وإجادته لها، تقدم ضمن مجموعة، ونجح فى الاختبارات الشفوية، والتحريرية. ثم ترك التدريس، واستلم برنامج إذاعة الطلبة حتى ١٩٨١م وانتقل إلى رئيس القسم، ومراقب للنشاط المسرحى، والثقافى فى وزارة التربية حتى عام ١٩٨٢م. ثم انتقل إلى إدارة البعاث، واستمر حتى فترة قبل الاحتلال بسنة، وعمل فيها حتى ١٩٨٩م. وعندما تم تأسيس وزارة التعليم العالى جرى اختياره ١٩٩٠م كمدير لإدارة التنسيق، والمتابعة للمعاهد الفنية. (المصدر نفسه: ٥٩)

فانتقل من وزارة الإعلام إلى وزارة التعليم العالى، وكان ينسق بين معهدى المسرح، والموسيقى العالميين. استمر فى هذه المهمة إلى فترة طويلة، بعدها تم اختياره كمستشار لوزير التعليم العالى، وعمل مستشاراً إعلامياً للجنة الوطنية لدعم التعليم. وهذه اللجنة هى التى أسسها المرحوم أحمد الراعى وزير التربية، وأسهمت ولاتزال تسهم. فكان مستشاراً إعلامياً، وأصدروا مجلة التواصل. (المصدر نفسه: ٥٨)

تم اختياره فى المجلس الوطنى للثقافة، والفنون، والآداب كمستشار هناك، وقد اختاره الدكتور محمد الرميحى ١٩٩٨م أميناً للمجلس، وعندما عاد من خارج الكويت فاجأه، وطلب منه لقاء، فذهب إليه، فطلب منه تقريرا، حول سلسلة المسرح العالمى. والدكتور إسماعيل الوافى كان يشرف عليها، وعرض عليه أن يكون مستشاراً لسلسلة جديدة من إبداعات. لأنه اشترط أن يكون هناك أعضاء فى هيئة التحرير، يعرفون اللغة، ويعرفون الترجمة. وقد وجد الدكتور الرميحى فيه القدرة على إشراف سلسلة الإبداعات العالمية، وصدر العدد الأول فى نوفمبر ١٩٦٩م، وتم اختيار هيئة التحرير، كلهم من أصحاب اللغة: الدكتور أسامة الشطى، وزبيدة أشكانى التى تجيد ثلاث لغات، قراءة، وترجمة، وكتابة.

www.SID.ir

Archive of SID

ومن أهم إنجازات الأستاذ الحزامی، أنه كَوَّنَ قاعدة من المترجمين الكويتيين، والعرب: ألمانی، إيطالی، إنجليزی، فرنسی، الأردو (سليمان حنيفی)، واللغة الفارسية (زبيدة أشكانی).وأصبح لديه حوالی ١٦ مترجما، من مختلف اللغات، واستطاعوا أن يترجموا نصوصا من مختلف اللغات إلى العربية، ويذكر أنهم ترجموا أكثر من خمسة نصوص من الفارسية إلى العربية من بينها رواية (نون والقلم). (المصدر نفسه: ٥٩)

هذا العمل جعله يتعرف على الآداب الأخرى، مما جعله يقرأ كثيراً.كانوا يعطون النص، ويقرأه المترجم، ويعطيهم تقريراً عن النص. لقد استفاد كثيراً خلال عشر سنوات كمستشار. وعمل كعضو لجنة رقابة الكتب فی وزارة الإعلام من ٢٠٠٥-٢٠٠٢م وهذه اللجنة يتم تغييرها من فترة لأخرى. استمر الحزامی عمله إلى أن تقاعد بعد خدمة دامت ٤٠ عاما. (محمد صالح، ١٩٩٦م: ١٧٨)

استطاع الحزامی أن يقوم بإنجازات أخرى خلال الفترة التی كان يخدم الكويت، إذ أخذ شهادات، ودورات إذاعية، وإخراج وإعداد إذاعی، لأنه فی الصيف كان يبقى فی بريطانيا. وعنده أربع شهادات متخصصة فی الإذاعة. كما عمل فی الإذاعة كمُعِدِّ برامج، وأخرج مسلسلات إذاعية (كبائعة الخبز)، و(الناقة)، وأخرج (أمسية الأربعاء) لمدة سنتين، و (مع الطلبة) حول النشاط المدرسی، وعمل برامج باللغة الإنجليزية لمدة سنة: (ندوة الأسبوع)، و(همسة قلم)، و(ذكريات ديبلوماسية) لكن البرنامج الذی دائماً فی ذهنه هو: (همسة قلم)، و(ذكريات ديبلوماسية) الذی استمر أكثر من ١٥ سنة. وعمل برامج تلفيزيونية منها: (رجالات الكويت)، و(حصاد الأيام). وكلها وثائقية، وتسجيلية حوالی ١٥٠ساعة. (بندبی، ٢٠١٠م: ٦٧)

أبرز نتاجات الحزامی

اشتهر الأديب الكويتی سليمان الحزامی بمسرحياته و«فن الحزامی المسرحی يتواصل بقوة مع الاتجاهات العالمية والتجريبية، ولايتوقف عندما يطلق عليه القضايا الاجتماعية والهموم المحلية، وهذه النزعة الإنسانية الشاملة تنبع من ذاته واتجاه قراءاته.» (حسن

www.SID.ir

Archive of SID

عبدالله، ۱۹۹۶م: ۱۳۹) کما «تتمیز مسرحیات الحزامی، بأنها تستند إلی خلفیة ثقافیة واسعة. وکل مسرحیة، تُکلِّفه سنوات عدیدة من البحث، والتحضیر. تنتمی مسرحیاته إلی مسرح العبث، واللامعقول، والبعض الآخر ینتمی إلی الشکل التاریخی، مع الإسقاط علی الحاضر.قرأ الحزامی المسرح، وفی الأدب العربی، والتاریخ، والسیاسة، والشعر. کتب المقالة النقدیة فی المسرح، والاجتماع، کما کتب القصة القصیرة، ونشر معظم إنتاجه فی الصحف المحلیة، والمجلات النقدیة.» (محمد صالح، ۱۹۹۶م: ۱۸۹)

ومن أهم میزات مسرحیات الحزامی أنه یلجأ فیها «إلی التاریخ، یعید صیاغته مسرحیا، فیطوف من الأندلس، والمعتمد بن عباد إلی عصر الطولوییین، والبذخ الذی یسقط الدول وصولا إلی الأحلام التی یحملها العظام من الرجال، فیکون المتنبی رکیزة هذا الحلم لیحط بعد ذلک عند عالم الأسطورة الشهرزادیة فی اللیلة الثانیة بعد الألف.» (الشطی، ۲۰۰۹م: ۱۶)

مؤلفاته المسرحیة

۱. مدینة بلاعقول: صدرت عام ۱۹۷۱م عن دارالعودة، بیروت.
۲. القادم: صدرت عام ۱۹۷۸م عن دار ذات السلاسل.
۳. امرأة لا ترید أن تموت: صدرت عام ۱۹۷۸م عن دار ذات السلاسل.
۴. یوم الطین: صدرت عام ۱۹۸۲م عن دار ذات السلاسل.
۵. المسألة: صدرت عام ۱۹۸۲م عن دار ذات السلاسل.
۶. بدایة البدایة: صدرت عام ۱۹۸۹م عن دار الشراع العربی.
۷. اللیلة الثانیة بعد الألف: صدرت عام ۱۹۹۸م عن دار ذات السلاسل.
۸. بدایة النهایة: صدرت عام ۲۰۰۱م عن دار الشراع العربی.
۹. بورشیا: صدرت عام ۲۰۰۶م.

وقدعُرضت بعض مسرحیاته علی مسارح الکویت مثل مسرحیة: (مدینة بلاعقول) إخراج دخیل الدخیل، والتی عرضت فی مارس ۱۹۹۰م، ضمن فعالیات مهرجان الدوحة

www.SID.ir

Archive of SID

فی دولة قطر. وحصل کاتبها علی شهادات تقدیریة، إذ حصل علی شهادة تقدیریة من قطر.وعرضت مسرحیة القادم من إخراج عثمان عبدالمعطی فی الکویت عام ۱۹۹۰م، قبل الغزو الآثم.

کما عرضت مسرحیة امرأة لاترید أن تموت فی الکویت عام ۱۹۹۴م، من إخراج منقذ السریع الذی دخل علیها دخولا ناجحا، فوظف الإطار العام، والدیکور، والأزیاء، والحرکة المسرحیة بحیث استطاع أن یخلق نصا موازیا للنص.(الشطی، ۲۰۰۹م: ۱۸)

وعرضت مسرحیة عودة الجبرتی (بدایة النهایة) علی مسرح الشباب فی الکویت، و هی من إخراج محمد الحداد عام ۱۹۹۵م. وتعتبر شهادة من التاریخ لما حدث للکویت.» (المصدر نفسه: ۱۷۹)

«و له بعض القصص القصیرة: الأصابع تنمو من جدید، نشرها فی جریدة، الوطن المحطة، ورجل لایرید أن یکون بطلاً، ودقائق، والرجل الذی لایقول لا، وقد نشرت هذه القصص الأربع فی مجلة (البیان) التی تصدر عن رابطة الأدباء بالکویت.» (المصدر نفسه: ۱۸۰)

مسرحیة بدایة النهایة

تعتبر بدایة النهایة قصة طریفة، کتبها الحزامی عام ۱۹۷۳م. وکان تحت تأثیر مسرح اللامعقول، وکتبها عندما حصل مناوشات حدودیة من العراق علی الکویت، وکان الحزامی آنذاک فی إیطالیا، وکان یفکر أنه کیف یمکن لدولة عربیة أن تعتدی علی دولة عربیة أخری؟ کما تخیّل مدینتین، مدینة کبری، ومدینة صغری، والمدینة الکبری تهجم علی المدینة الصغری. (بندبی، ۲۰۱۰م: ۹۵)

کان اسم المسرحیة فی بدایة الأمر (عودة الجبرتی)، وهو الرجل الذی یأتی من الماضی، لیدافع عن الحق والحقیقة، إنه عاصر الغزو، والاحتلال الفرنسی لمصر، وشاهد الأحداث. کتب الحزامی هذه المسرحیة وأودعها الدُّرج، وفی عام۱۹۹۰م عندما حدث الغزو، واحتل العراق الکویت لمدة سبعة أشهر، قرر أن ینشر المسرحیة، فغیّر العنوان من

www.SID.ir

Archive of SID

(عودة الجبرتى) إلى (بداية النهاية)، وحصل على هذه المسرحية، على جائزة التشجيع من هيئة الدولة ١٩٨٢م. كما حصلت هذه المسرحية على جائزة وزارة الإعلام. (المصدر نفسه: ٩٥)

نشاهد فى هذه المسرحية أحداثا، تبدو للإنسان أنه عاشها حيث يأخذ الإنسان إلى عام ١٩٧٣م. وللتأكيد على هذا نشير بإيجاز شديد إلى ملخص المسرحية.

المشهد الأول من الفصل الأول

يتجلى فى المشهد الأول حضور منجزات العلم الحديث فى عصر الفضاء، والصواريخ، وأبواق السيارات، وصور إطلاق صواريخ، ومركبة فضاء، وغيرها من معطيات العصر الحديث. جاء المؤرخ بالجبرتى من الماضى ليكشف الحقيقة. فى بداية الأمر يقوم المؤرخ بتقديم الجبرتى للحضور الموجودين فى القاعة.يشير إلى لباسه المختلف تماما عن لباس الآخرين. غير أن الجبرتى مندهش من العصر الحاضر. لم تكن أشياء هذا العصر موجودة فى عصره. إنه يواجه دائماً أحاديث، وأشياء غريبة. الصبى الذى يبيع الصحف، وهو لقمة عيشه دون أن يدرى الصالح من الطالح فى تلك الجرائد. يأخذ الجريدة من الصبى، وبعد أن يقرأ خبر انتحار القائد العسكرى فى مدينة ساسا يصير متعجبا. خاصة عندما ينتبه أنّ نائبه فى الحكم قام بقتله، وخرج على الناس قائلا: إن حاكمكم قد انتحر.ويزداد التعجب لدى الجبرتى من العلم الحديث، ومن أمر الناس فى العالم المعاصر، ففى العالم الحديث، تقرب المسافات. إنه يتأكد أنها صورة اجتماعية لم يعهدها فى عصره. (الحزامى، ٢٠٠٦م: ٩٣-١٠٠)

ويواجه الجبرتى فرجا، رئيس تحرير واحدة من أشهر الصحف فى العالم، وهو يعتقد أن قيام صديق حاكم ساسا عليه، وقتله يكون حدثاً عادياً. كما يأتى:

الجبرتى: وما قصة ساسا هذه؟

فرج: إنه حدث عادى. رجل قام بانقلاب على زميله، وشريكه فى الحكم لخلاف فى طريقة الحكم.

www.SID.ir

Archive of SID

الجبرتی: هکذا؟

فرج: نعم هکذا.

الجبرتی: والضحایا الذین سقطوا؟

فرج: إنها طریقة التغییر. فأنت عندما ترید أن تغیر شیئاً أن تضحی بشیء آخر وهکذا.

ویقول إنه یعرف حاکم ساسا الجدید، إنه قوی الشخصیة وهو أول صحافی یقابل هذا الحاکم الفذ. یقول الجبرتی بعد ذهاب فرج إنّ هذا الشخص قلیل الفهم. ثم یطلب من المؤرخ أن یریه ما یحدث فی ساسا. (المصدر نفسه: ۹۳-۱۰۴)

المشهد الثانی من الفصل الأول

وفی المشهد الثانی أیضاً یشیر إلی الأجهزة التی توجد فی العصر الحاضر مثل: التلفیزیون، والفیدیو، والفکس. وتجدر الإشارة إلی أن حوادث هذه المسرحیة تجری فی نهایة القرن العشرین، أی قد مضی منذ وفات الجبرتی حتی هذا الزمان أکثر من مائة وسبعین عاماً أو أقل. یری الجبرتی أن کل شیء یتم ببساطة فی عالم الیوم. ویستمع إلی إلقاء خطابة الحاکم المستقبل لساسا، وهو یقول للشعب: أیها الشعب العظیم، لقد جاءکم النصر وذهب الفساد إلی غیر رجعة، یا أبناء ساسا إن بلادکم ستنمو وتکبر. یعلم الجبرتی أن کل ما قاله الحاکم هراء، ولهذا یرثی للمعاصرین ولکن المؤرخ یقول: إنه نموذج للحاکم المستبد. (المصدر نفسه: ۱۰۵-۱۰۷)

المشهد الثالث من الفصل الأول

تجری الحوادث فی هذا المشهد فی مقهی شعبی فی ساسا، حیث یزور الجبرتی عدداً من رواد المقهی. وهنا یتعرف علی الضابط الذی ترک العمل فی الجیش ویکتم سببه، حتی أمام زوجته، بسبب خوفه من عیون الحاکم. یذکر الضابط للجبرتی أنهم تحولوا إلی شعوب صامتة وحتی عند ممارسة الجنس فی السریر لأنهم لایثقون بزیجاتهم خوفا

www.SID.ir

Archive of SID

من المخابرات. وبعد فترة يزور المتسول الجبرتی، وفی المشهد الآخر نفهم أنه كان أحد عيون الحاكم بين الناس؛ ويقول للجبرتی: إنكم دولة غنية.وهنا يشير المتسول إلى غناء تاتا – وهی دولة محاذية قريبة لساسا – وثرواتها الهائلة بالرغم من صغرها.ثم يستفسر الجبرتی صحة هذا الموضوع من الضابط غير أنه يصرفه عن السؤال، ولكن الجبرتی يلح على الضابط وأخيرا يصرح الضابط على ما قاله المتسول. ويسأل المتسول سبب حضور الجبرتی، كما جاء فی الحوار التالی:

المتسول: لماذا ترتدی هذه الملابس (مستدركاً)، عرفت من البعض أنک لست من سكان تاتا الأصليين؟

الجبرتی: أنا رجل قادم من التاريخ.

المتسول: سمعت ذلک ولكن لم أصدق.

الجبرتی: أنا عبدالرحمن الجبرتی، جئت من التاريخ لأشهد على عصركم.

المتسول: تأتی من الماضی لتشهد على الحاضر.

الجبرتی: نعم، وساءنی ما شاهدت.

الضابط: (لنفسه) لم ترشيئا بعد! (المصدر نفسه: ۱۰۹-۱۱۲)

ويقول الضابط للجبرتی إن ذاک المتسول كان من المخابرات، ثم يريد منه أن يتخيل الحقيقة التی تجری فی عالمهم. (وبعد أن ينظر الجبرتی بخياله، يضاء المنتصف الثانی من المسرح) وتظهر امرأة جميلة، شبه عارية فی يد غضبان. وهی بمثابة بوابة لوصول غضبان إلى ما يريد. لكن المرأة تقول إنها تريد التوبة والزواج معه، وتشير إلى أنها باعت ماء وجهها له ولغيره. وعدها غضبان أنه سيتزوج معها بعد إنجاز المهمة. والمهمة ليست إلا إقامة علاقة مع أدهم وزير الدفاع السابق فی ساسا. وفی النهاية تستسلم المرأة لما أراد غضبان، وقابلت مع الوزير أدهم، وهكذا يشير الضابط إلى كيفية تركه العمل بعد دسائس عيون الحاكم، لأن هذا الوزير ليس إلا الضابط الذی باح أخيرا بأسراره لدى الجبرتی، إذ قال: بعد انقلابات كثيرة جاء الحاكم الجديد، وشنق من شنق، وكنت ممن نالهم العفو بشرط ألا أتحدث وإلا فالموت بالمرصاد. (المصدر نفسه: ۱۱۸)

www.SID.ir

Archive of SID

فی هذا المشهد یقابل الجبرتی الحاکم، وهو یؤکد علی أنهم یعیشون عصر الحضارة. وکل شیء میسر، الحیاة رغدة والناس یعیشون فی أمان. ویؤکد الجبرتی علی أنّه یرید أن یسمع هذه الأحوال من الناس، لکن الحاکم خالف، قائلا: أنا لسان الناس، أنا الشعب. ومن هناک بدأ الجدال بینهم.صدر الحاکم أمرا بأن یغادر الجبرتی ساسا فورا، وحینما أراد أن یخرج مع المؤرخ من ساسا، فجأة جاء المتسول (جاسوس الحاکم) وألقی القبض علی بعض الرجال الموجودین المختبئین فی المقهی.والجاسوس یهدد المؤرخ والجبرتی أنهما إذا لم یغدرا ساسا، سیکون مصیرهما کالآخرین. (المصدر نفسه: ۱۱۳-۱۲۳)

مشهد التعذیب

فی مشهد التعذیب تفتح الستارة علی أدهم مصلوبا، والرجل مقید إلی عمود من الحدید، والمرأة مقیدة. وغضبان یقول لأدهم إنه نصحه، لکن أدهم لم یسمع النصیحة، وفی جوابه یقول أدهم: کنت تنصحنی حتی أبیع عرضی ولکننی رفضت طبعاً. وفی النهایة أطلق المتسول النار علی الرجل والمرأة، وبینهما أدهم فی حالة ذهول. (المصدر نفسه: ۱۲۵)

المشهد الأول من الفصل الثانی

یحدث هذا المشهد فی غرفة نوم فی تاتا، الغرفة التی کانت فیه الجبرتی، حیث یدخل حاکم ساسا الغرفة فجأة. ویجری الحوار بینه، وبین الجبرتی عن الحوادث التی جرت فی ساسا وتاتا. وأشار الحاکم بأنه یکون نابلیون عصره، وصانع التاریخ، فما یریده أخذه ولن یلتفت إلی حوار، وأراد من فرج أن یکتب للناس بأن تاتا عادت لساسا. ثم یسأل الجبرتی الحاکم عن کیفیة إلحاق تاتا إلی ساسا.والحاکم یرد أنها تم إلحاقها بالوحدة.والجبرتی یجیب أن الوحدة لاتکون فی منتصف اللیل، بل هی تکون فی وضح النهار.ویسأل الحاکم من الجبرتی سبب حضوره إلی عصره، ویقول الجبرتی: إننی أجیء لأشهد علی عصرکم، وعلی ما یحدث فیه. قال للجبرتی إن جیش حاکم ساسا یسیطر

www.SID.ir

Archive of SID

علی تاتا. والحاکم یطلق النار علی المتسول. والجبرتی یقول للحاکم: إن الموت رخیص عندک. والحاکم یذکر أن العصیان من أوامره فی ساسا، وتاتا یعنی الموت.وفی نهایة هذا المشهد یجری حوار بین المؤرخ والجبرتی، وهما یذکران أن الناس لاتصدق أن یتم ابتلاع الدول هکذا. (المصدر نفسه: ۱۲۹-۱۳۶)

المشهد الثانی من الفصل الثانی

یکون هذا المشهد فی المکان نفسه فی المشهد الأول من الفصل الأول، ویری الجبرتی الصبی بائع الصحف، والحزن یلفه، کما کان یقول: ذهب الفرح من یوم دخل الغزاة أرضنا. قتلوا أبی، وسرقوا البیت، وبینما تسمع طلقات النار، یقول الجبرتی للصبی: تذکر یا ولدی أن الظلم لا یدوم. سوف تری إن حاکم ساسا یصعد للموت.تذکر یا ولدی أنک تستطیع أن تسرق شجرة، ولکنک لن تستطیع أن تسرق أرض البستان. (المصدر نفسه: ۱۳۸)

وبعد خروج الصبی یقول المؤرخ للجبرتی: إنه یری قلمه فی یده، ولکنه مکسور فی یده. ولا یعرف الکتابة لهول ما حدث.فیؤاسیه الجبرتی بهذا القول: إن ما یحدث فی بلدکم شیء بشع، ولکن لاتنس أن العالم یقف معکم. ثم یسیر غضبان نحو سلوی، وهما وصلا إلی تاتا،یجری بینهما حوار، حیث یقول غضبان لسلوی: سآخذ من هنا بعض الأشیاء النادرة لبیت الزوجیة، ولکن هناک طلب بسیط. وأراد منها أن یأخذها لحاکم تاتا الجدید. وغضبت سلوی من طلبه. وقالت إنها لن تذهب، لکن الضابط أشار إلی الجنود، وأخذوها بالعنف. وفی نهایة المشهد تطلق النار، علی الصبی، ویخرج الجبرتی من مکانه لیحتوی الصبی الذی ینزف. والجبرتی یقول للمؤرخ: حتی الطفولة، لم تسلم منهم، لم یبقوا شیئا للمستقبل، إنهم یقتلون المستقبل بقتل الأطفال. (المصدر نفسه: ۱۳۹-۱۴۲)

المشهد الثالث من الفصل الثانی

وبعد جرح الصبی، أخذه الجبرتی إلی بیته لتجری علیه محاولات إنقاذه، ویقول

www.SID.ir

Archive of SID

الجبرتی: إن المواقف التی شاهدتها فی تاتا، وساسا لم تمر فی حیاتی، ولم أقرأ عنها، أی من الحکام الذین یعیشون لنفسهم فقط.

فجأة یدخل الضابط رعد، بأمر من الحاکم لیأخذ الصبی، باعتباره عنصرا من عناصر المقاومة، إلا أن الجبرتی لایسمح له بأخذه، وحینئذ یقتل الضابط الصبی برصاصة، حتی یأتی الجبرتی معهم، ولکنه یرفض، إلی أن یأتی الحاکم.ویجری حوار بین الجبرتی والحاکم، حیث یقول الجبرتی للحاکم: سوف تموت أیها الحاکم، أنت میت منذ سنوات، وتأکد موتک یوم غزوت تاتا.أنت جثة بلاکفن، أنت جثة یأکلها العفن.إن جرائمک أیها الحاکم تصرخ فی وجه التاریخ.وعندئذ یسحب الحاکم مسدسه، یوجهه نحو الجبرتی. ولکنه یعجز عن قتل الجبرتی إلی أن یقتحم عدد من رجال المقاومة البیت، مطلقین النار علی الحاکم، وتصیب إحدی الرصاصات الحاکم، فیفر ومن معه مصابا بجرحه. ومن هنا تبدأ البدایة للشعب، والنهایة علی الحاکم المغرور. (المصدر نفسه: ۱۴۸)

أسلوب الحزامی ولغته فی المسرحیة

یستفید الحزامی من الملاحظات بین القوسین، لتعلیمات أو إرشادات مسرحیته التی تساعد الممثلین فی تصرفاتهم وسلوکهم بالإضافة إلی أنها یساعد فی توضیح نفسیة القائل.فالکتّاب عادة یضعون فی حسبانهم أنهم یکتبون المسرحیة لتُمثل، وتُعرض، ولیس لمجرد القراءة؛ واهتمامهم فی کتابتها بالتعلیمات الموجهة للمخرجین، والممثلین دلیل واضح علی هذا.(الجبوری، ۱۹۸۷م: ۱۵۰) ولو أرادوا لها أن تقرأ فقط لما اهتموا بهذا کله؛ والمسرحیة «لایتم وضعها الفنی الحقیقی إلا حین تمثل علی خشبة المسرح.» (إسماعیل، ۱۹۷۸م: ۱۷۷)

کما مزج الحزامی فی مسرحیته بین الخیال، والواقعیة دون تعقید وغموض، أو المبالغة فی الإغراق. فاتخذت مسرحیات الحزامی، الشکل السیاسی الواقعی جداً، الذی یمس حیاة الشعب الیومیة. تتصف مسرحیة بدایة النهایة بالجد والوقار، فلم یخرج فیها کاتبها عن الجادة التی التزمها الکتاب المسرحیون، والتزم فی کتابتها أسلوباً دقیقاً.

www.SID.ir

Archive of SID

فأسلوب الكاتب بسيط، يخلو من الصور البيانية المتكلفة، ويخلو من الصنائع اللفظية، التى تتمثل فى التوازن أو السجع. ولغته فصيحة نقية، بخلاف اللغة العامية التى كانت سائدة فى بعض المسرحيات. أى كل الأشخاص فى المسرحية يستخدمون الفصحى فى حديثهم.والعربية الفصحى لغة لها غناها، وثروتها اللفظية المتعددة، والمتنوعة.

مسرحية بداية النهاية؛ دراسة، وتحليل

عرفنا الجبرتى فى هذه المسرحية كرجل جاء من تاريخ الماضى.إنه عنصر حيادى لايقول إلا الحق.والحزامى «يستحضر المؤرخ الجبرتى، ويطوف به داخل مدينة يتحكم فى مصائرها حاكم مستبد بشعبه، يثور الشعب، ويقف الجبرتى شاهدا على أن بداية النهاية لهذا الحاكم قد بدأت بالفعل.» (حجاوى، ٢٠٠٣م: ٤٨٧) وإذا كانت المسرحية شهادة تاريخية لما حدث للكويت، فإن البلدين اللذين ذكر اسمهما فى النص ساسا وتاتا، رمزان للعراق والكويت، وهناك شواهد كثيرة فى النص تنم عن هذا الأمر.

يتطرق المؤرخ إلى بعض منجزات العلم الحديث فى هذا العصر. فهناك التلفزيون، والفيديو، والفكس، وأبواق السيارات، والصواريخ، والمركبات الفضائية؛ وهذه الإشارة جاء بها الكاتب ليؤكد على أصالة عنصر التاريخ فى الجبرتى.

وإلى جانب مظاهر العصر الحديث يتناول الحزامى بعض القضايا الاجتماعية والسياسية، إذ يشير الجبرتى إلى غرابة الأمور فى مدينة ساسا، فإنه عاش فى هذه المدينة فى العصور الماضية ولم يشاهد هذه المساوئ الاجتماعية؛ يرى أن الأطفال لايمكنهم أن يعيشوا حياة سعيدة فى هذه المدينة، لأن الفقر جعلهم أن يبيعوا الصحف دون أن يعرفوا شيئا عن مضامينها.يرى استبداد الحكام، وأنانيتهم للوصول إلى الحكم، فالقتل حدث عادى رخيص لدى حاكم مدينة ساسا، وهذا الأمر تسرب حتى إلى وسائل الإعلام، فالصحافيون يبررون تصرفات الحاكم الشنيعة لأنهم مقربون من المستبد.

الاستبداد جعل الناس خائفين فى المجتمع، وفى المقاهى، وفى ديارهم، وحتى فى السرر، لأنهم لايثقون بزيجاتهم خوفا من المخابرات.فالحاكم المستبد بعث عيونا بين

www.SID.ir

Archive of SID

الناس وهؤلاء المرتزقة لايؤمنون بشيء ولايراعون أبجدية المبادئ الأخلاقية.يخدع المرتزقة، النساء الساذجات، وهن ينخدعن أمام الوعود الكاذبة. يصور الحزامی مجتمع العراق آنذاک بشكل وصل الاستبداد إلى ذروته بحيث يعتقد الحاكم أنه لسان الشعب. جعل الكاتب مشهدا خاصا للتعذيب وهذه تقنية فنية فی المسرحية لجأ الحزامی إليها ليدل على مدى قسوة الدكتاتور العراقی لشعبه وللآخرين وما ارتكبه فی سجونه المخيفة من جرائم وممارسات لاإنسانية.

لا يخفى أن القارئ الفطن عندما يتابع أحداث هذه المسرحية يستوعب أنها إشارة واضحة إلى العراق فی عهد الدكتاتور، كما يدرک نبوءات الحزامی فی هذه المسرحية. أدرک الكاتب أن الظلم لايدوم، وأن الاستبداد زائل لامحالة.

ترمز مدينة تاتا إلى الكويت، كما أشرنا سابقا، والكاتب أدرک مطامع العراق منذ أمد بعيد عندما حصل مناوشات حدودية من العراق على الكويت عام ١٩٧٣م إذ تخيل مدينتين: مدينة كبرى ومدينة صغرى، والمدينة الكبرى تهجم على المدينة الصغرى. والمسرحية تمت كتابتها آنذاک إلا أنها أبصرت النور عام ١٩٩٠ عندما تحققت نبوءات كاتبها متجلية فی الغزو الآثم للكويت.ويمكننا أن نعرف مدى طمع الدكتاتور فی الكويت من خلال ما قاله المتسول باعتباره أحد عيون الحاكم، فإنه يشير إلى غناء تاتا وثرواتها الهائلة بالرغم من صغرها، ويثبت هذا القول كون المتسول جاسوسا مقربا من الدكتاتور إذ يعرف مطامعه العدوانية.

بدا للدكتاتور أنه نابليون عصره، وصانع التاريخ كما يدعى أنه استطاع إلحاق الكويت إلى العراق بالوحدة، ولكن الجبرتی يسكته بإجابته أن الوحدة لاتكون فی منتصف الليل بل هی تكون فی وضح النهار.وهذه إشارة إلى غزو الدكتاتور لدولة الكويت قبيل الفجر؛ كما أنها تدل على أن الحزامی أعاد النظر فی مسرحية عودة الجبرتی، وأشار بشكل مباشر إلى هذا الغزو العدوانی بالإشارة إلى عنصر الزمن بصورة محددة.

وهكذا نرى أن الفكرة الأساسية التی بنيت عليها المسرحية هی الدعوة إلى التحرر وانهدام الظلم، وتتجه حركة المسرحية نحو فشل القوة، والظلم، والتعدی فی تحقيق

www.SID.ir

Archive of SID

الأهداف الإنسانية.كما قال الجبرتی المؤرخ: المواقف التی شاهدتها فی تاتا وساسا لم تمر فی حياتی، ولم أقرأ عنها. أی نوع من الحكام هذا الرجل؟ أمجنون هو؟ طاغية؟ يبدو لی يا صاحبی أنه لا يقيم وزناً لأی شیء! إنه يعيش لنفسه فقط! (الحزامی، ۲۰۰۶م: ۱۴۳)

إن بداية النهاية يتناول الحزامی فيها موضوعات سياسية، واجتماعية، وإنسانية مختلفة يقتبسها من التاريخ، ليعبّر من طريقها عما فی نفسه من الأفكار، والحوادث من الحياة الحاضرة.وهذا الاتجاه الواقعی الذی لمسناه فی مسرحية بداية النهاية إلى واقعية أكثر عمقا بعد الغزو الآثم للكويت.

وفی هذه المسرحية يلجأ الحزامی إلى تاريخ المدينة التی يتحكم فی مصائرها حاكم مستبد بشعبه، فيستحضر الكاتب الجبِرتی، وهو يطوف به داخل مدينة، ويصور كل القضايا الموجودة فی المجتمع. يصمت الشعب فی بداية الأمر إلى جانب ظلم الحاكم، والفقر، والفساد لكن بعد إرشادات الجبرتی، والحوادث التی تجرى أثناء المشاهد يثور الشعب، ويقف الجبرتی صامدا حتى يرى نهاية الظلم، وبداية الشعب.

وحاول الحزامی فيها أن يقدم الدراما الواقعية الاجتماعية من خلال التركيز على الجانب الانتقادی، فقدم فيها لوحات متعاقبة من حياة شخصيات عديدة (الصبی، سلوى، فرج، المتسول) وأراد من خلال علاقة هذه الشخصيات ببعضها أن يكشف عن الواقع الاجتماعی.

فهناک معنيان أساسيان دارت المسرحية حولهما: الحرية، والإنسانية.لقد حملت المسرحية الكثير من المضامين الجديدة التی ركزّت على بؤر حارة فی موضوعات حياتية (بيع الصحف عن طريق الصبی، العلاقة بين غضبان وسلوى، اعتماد فرج على الحاكم للوصول إلى مقاصده، و...).

لاتوجد فواصل بين الأزمنة والأمكنة، فالماضی، والحاضر، والمستقبل تجتمع كلها فی وقت واحد، لكن الشخص الوحيد الذی احتلّ مكانين فی المسرح هو الجبرتی الشخص الذی جاء من الماضی ليعيش فی الزمن الحاضر.

www.SID.ir

Archive of SID

الهدف من المسرحية

إن الحزامی یرید بکتابة هذه المسرحیة أن یصحح الصورة المرتسمة فی أذهان الشعب. فهذه هی مهمة الکاتب لکتابة هذه المسرحیة، وأراد أن یتخذ من الصراع بین الجبرتی، والحاکم عینة علی اعتراض الناس علی التعسف، والظلم. تعد المسرحیة صوت الحزامی الذی رفعه معترضاً بالاستبدادیة، والفساد، وتضعیف القیم.

وقد سعی الحزامی إلی امتناع بعض شخصیات المجتمع المعاصر بلقاء الجبرتی فی مدینة ساسا مع الحاکم والأوضاع الاجتماعیة.کما قصد المؤلف بهذه المسرحیة، تصویر الفساد الذی عم ساسا فی مطلع هذا القرن، وکان للحکام الظالمین مَنْ أثر فی خلق هذا الفساد، ونشره بین الطبقات عامة.

أراد الحزامی من خلال رسم شخصیات هذه المسرحیة أن یقول لجمیع الناس أن الاعتماد علی القوة وحدها لیس کافیاً، فالحریة هی الأساس لکل حیاة جمیلة، ومقبولة. فقد أراد من خلالها أن یقارن ویناقش بین ساسا فی الیوم الحاضر، والقدیم أی زمن الجبرتی، لأن بعض التغییرات الاجتماعیة تأثرت علی القیم الأخلاقیة.کما یسعی أن یصور مشکلات ذات أهمیة، کأجور العمال، وحقوق المرأة، والقتل والعنف فی العراق أیام الاستبداد.

وغایة القول إن الحزامی استطاع أن یصور إمکانیات الفعل المسرحی فی تثقیف الناس، وفی التأثیر فی أحوالهم، وأفکارهم، واتجاهاتهم.وقد نجح الحزامی فی تصویر الجبرتی، والحاکم من أجل تحقیق هدفه الذی یسعی إلیه، ووَفَّقَ فی تصویر قدرته علی معرفة الواقع الاجتماعی، والسیاسی، والانطلاق منه إلی التفاؤل بالمستقبل.

مدی نجاح الکاتب

قدم الحزامی فی هذه المسرحیة طریقته فی رسم الشخصیات، وعرض القصة فنجح الحزامی فی بث أفکاره. فمسرحیته هی الأداة أو الوسیلة التی یضمنها الحزامی مجموعة أفکاره، ونظریاته سواء السیاسیة منها أو الاجتماعیة.إنها الوعاء الذی یتضمن الأمانی،

www.SID.ir

Archive of SID

والأحلام، والرغبات التی یقوم بتجسیدها.

هکذا نری الحزامی قادرا علی خلق الشخصیة الإنسانیة فی روایاته، وعلی إعطائها الجانب الحی، وعلی توفیر الصراع بین الشخصیات، وتحقیق عنصر الإثارة الذی یجعلها مسرحیة ناجحة، وأن یعتمد فی کل ذلک علی أسلوبه الجدید.وما فلسفته، وما حواره إلا وسائط براقة، للتعبیر عن شوقه لخدمة البشریة، وإنقاذ الناس من ظلم الحکام.قد استطاع الکاتب فیها أن یعرض أهدافه بصورة من الصور عن الحرب العراقی مع الکویت وتأثیره فی المجتمع الکویتی.

النتیجة

مسرحیة بدایة النهایة التی هی النص الفائز بجائزة الدولة التشجیعیة عام ۲۰۰۱م، کتبها الأدیب الحزامی عام ۱۹۷۳م وبعد الغزو العراقی الآثم قام بنشرها بعد أن قام بإعادة النظر فیها.وهی انعکاس طبیعی للموضوعات السیاسیة، أو الاجتماعیة، ویتجه الأدیب فیها إلی الوعی الاجتماعی الجدید، والصراع بین الطبقات، أو الصراع بین الناس، والحاکم الظالم. تعد المسرحیة صوت الحزامی الذی رفعه معترضاً بالاستبدادیة و الفساد و تضعیف القیم.

نری الحزامی قادراً علی خلق الشخصیة الإنسانیة فی روایاته، وعلی إعطائها الجانب الحی، وعلی توفیرالصراع بین الشخصیات، و تحقیق عنصر الإثارة الذی یجعلها مسرحیة ناجحة وأن یعتمد فی کل ذلک علی أسلوبه الجدید.والشخصیات التی یقدمها لاتختلف فی شیء عن الشخصیات التی نقابلها فی الحیاة الیومیة. والمواقف التی یضع فیها هذه الشخصیات، عادیة أیضاً، لیس فیها ما هو خارج عن المألوف، والحوار أیضا عادی لیس به ما یمیزه عن الحوار الیومی وفی کل مسرحیة من مسرحیات الحزامی، نجد– غالباً – موضوعاً للمناقشة حول فساد الحکم، والسیاسة، ونکبة الشعب، والصراع بین القدرة. وهذه المسرحیة نوع من المسرحیات التی تهدف إلی إثارة الانفعالات الشدیدة بین الفصلین تنتهی إلی نهایة سعیدة أی انهدام الظلم، وظفر الحقیقة.

www.SID.ir

Archive of SID

المصادر والمراجع

إسماعيل، عزالدين. ١٩٧٨م. *الأدب وفنونه*. القاهرة: دار الفكر العربی.

بندبی، زهرة. ٢٠١٠م. *رسالة جامعية عن نتاجات الحزامی لم تبصر النور*. لانا.

الجبوری، يحيی. ١٩٨٧م. *المدخل لدراسة الفنون الأدبية واللغوية*. قطر: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

حجاوی، غادة وإلياس البراج. ٢٠٠٣م. *الأدب فی الكويت خلال نصف قرن*. مطابع الملک: الكويت.

الحزامی، سليمان. ٢٠٠٦م. *مجموعة الأعمال الكاملة (ثلاثة أجزاء)*. الطبعة الثانية. دولة الكويت: مكتبة الكويت الوطنية.

حسن عبدالله، محمد. ١٩٩٦م. *المسرح الخليجی تأثره بالمسرح العربی والعالمی*. الكويت: رابطة الأدباء فی الكويت.

الشطی، سليمان. ٢٠٠٩م. *المسرح فی الكويت*. الطبعة الأولی. الشارقة: الهيئة العربية للمسرح.

محمد صالح، ليلی. ١٩٩٦م. *أدباء وأديبات الكويت*. الكويت: رابطة الأدباء فی الكويت.

www.SID.ir